مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية
المجلد الثالث – العدد الأول – 2025 – الصفحات 33-43

الدين التقليدي الأفريقي وصلته بالوقت الحاضر: دراسة لدين اليوروبا التقليدي

ربيعة محمد فايز *
قسم التاريخ، جامعة ليبيا المفتوحة، ليبيا
* البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): rabiha.f@staff.ou.edu.ly

African Traditional Religion and Its Relevance to the Present: A Study of Yoruba Traditional Religion

Rabia Mohammed Fayez *
Department of History, Open University of Libya, Libya

تاريخ الاستلام: 02-05-2025، تاريخ القبول: 22-08-2025، تاريخ النشر: 10-09-2025.

الملخص

الدين هو التأثير الأساسي، وربما الأهم، في حياة معظم الأفارقة؛ يدخل الدين في كل جانب من جوانب حياة الأفارقة، ولا يمكن دراسته بمعزل عن غيره. يجب أن تسير دراسته جنبًا إلى جنب مع دراسة الأشخاص الذين يمارسون الدين .

الديانة الأفريقية التقليدية، تعني المعتقدات والممارسات الدينية الأصلية للأفارقة. إنه الدين الذي نتج عن الإيمان الراسخ لأسلاف الأفارقة الحاليين، والذي يمارسه اليوم عدد كبير جدًا من الأفارقة بأشكال مختلفة وبقوة وشدة مختلفين. نحتاج إلى شرح كلمة "تقليدي". هذه الكلمة تعني السكان الأصليين أو المؤسسين، وأيضاً تعني التوارث من جيل إلى جيل، وما يمارسه الأفارقة اليوم لتراث الماضي، ولكن لا يتم التعامل معه على أنه شيء من الماضي ولكن باعتباره يربط الماضي بالحاضر والحاضر بالخلود. هذا ليس دين "أحفوري، متحجر"، شيء من الماضي أو دين ميت، إنه دين يمارسه الرجال والنساء الأحياء . (Awolalu, 1975).

الكلمات المفتاحية: الدين، التقليدي، اليوروبا، الأفريقي، المعتقدات.

Abstract

Religion is the primary, and perhaps the most important, influence in the lives of most Africans; Religion is involved in every aspect of Africans' lives, and it cannot be studied in isolation. His study must go hand in hand with the study of people who practice religion.

Traditional African religion means the indigenous religious beliefs and practices of Africans. It is the religion that resulted from the firm faith of the ancestors of present-day Africans, and which today is practiced by a very large number of Africans in different forms and with different strength and intensity. We need to explain the word "traditional". This word means the indigenous people or the founders, and it also means passing on from generation to generation, and what Africans practice today is the legacy of the past, but it is not treated as something of the past but as linking the past to the present and the present to eternity. This is not a "fossil" religion, a thing of the past or a dead religion, it is a religion practiced by living men and women. (Awolalu, 1975).

Keywords: religion, traditional, Yoruba, African, beliefs.

المقدمة:

تكمن حياة شعب اليوروبا بجميع جوانبها في دينهم، فهم متدينون، ويشكل الدين الأساس الذي يحكم جميع مبادئ الحياة بالنسبة لهم، بقدر ما يتعلق الأمر بهم، فإن المسؤولية الكاملة عن جميع شؤون الحياة تعود إلى الإله. يتمثل دورهم في أي أمر في القيام بما أمروا به من خلال الكاهن والعراف الذين يعتقدون أنهم مفسرين لإرادة الإله. (Falola، 1982. وفقًا Babalola, & Odudele, 2017).

هذا هو السبب الرئيس الذي يجعل شعب اليوروبا، إلى حد كبير، شديد التدين في كل الأشياء. على سبيل المثال، لم يعتمد النظام السياسي لليوروبا على السلطة السياسية لحكامهم فحسب، بل أيضًا على سلطتهم الدينية. وهذا يؤكد أيضًا سبب كون جميع مهرجانات الآلهة في مجتمعات اليوروبا ملكًا للملك، كما أنه يشارك بنشاط في جميع الأنشطة المعنية. (Basil, & Ade Ajayi,، 1975. وفقًا لـ Babalola, & Odudele, 2017).

من خلال التغييرات الحديثة، لا يمكن للدين التقليدي أن يظل على حاله ولكنه لم ينقرض بأي حال من الأحوال. إن أتباع الديانة الأصلية المُعلنون محافظون للغاية، ويقاومون تأثير الحداثة الذي بشرت به الحقبة الاستعمارية. (Awolalu، 1975). ومع ذلك، فقد شهدنا في الآونة الأخيرة اختفاء العديد من طوائف اليوروبا مما يدل على أنها تخضع لتغيرات تاريخية، على سبيل المثال، اختفت عبادة Sonpona (إله الجدري) تقريبًا من ثنائيات معظم مدن اليوروبا بعد برنامج منظمة الصحة العالمية للقضاء على الجدري، أدى هذا ببعض الكتاب إلى دراسة وتحليل التقاليد الشفوية لليوروبا خوفاً من اندثارها أو تسلل التغييرات لها. (Olupona, J. K، 1993).

كان شعب اليوروبا في العصور القديمة وحتى اليوم يتمحور في غرب النيجر السفلى والتي تعرف اليوم باسم جنوب غرب نيجيريا، يشترك هذا الموقع الجغرافي في الحدود في الشمال الغربي مع بورغو ونوبي وإبيرا في الشمال وإيسان وإيدو في الجنوب الشرقي وإيجالا والمجموعات الأخرى ذات الصلة في الشمال الشرقي. (Akanbi & Aladesanmi2006).

على الخريطة يقع موطن اليوروبا بين خطي طول 20 و 30 شرقًا من خط الطول وخطي عرض 6 و 9 شمال خط الاستواء (Akanbi & Aladesanmi2006) إلى جانب ذلك ووفقًا لبابالولا وأوديلي فإن اليوروبا هو اسم شائع لمجموعة لغوية احتلت شرق بنين في نيجيريا، جمهوريتي داهومي وتوغو. (Babalola, & Odudele, 2017).

ومن ثم، فإن تركيز هذه الدراسة على اليوروبا في جنوب غرب نيجيريا، وهي من بين المجموعات العرقية الرئيسية والأكثر اكتظاظًا بالسكان في نيجيريا، يوروبا هي ثاني أكبر مجموعة عرقية مع حوالي 21 ٪ من إجمالي السكان بعد الهوسا / الفولاني بنسبة 29 ٪، وتتكون من ست ولايات في جمهورية نيجيريا الفيدرالية والتي تشمل: إيكيتي، أوندو، أوسون وأويو وأوغون ولاغوس. بعض القبائل الرئيسية داخل هذه الدول هي؛ إيجيبو، إيجيشا، أوري، أكوكو، إيجبا، أون دو وإكيتي. اليوروبا أكثر اتحادًا بسبب الادعاء بأن Oduduwa هو أصل الأسلاف. (Babalola, & Odudele, 2017).

أهمية البحث وأسباب اختياره:

يعتبر مجتمع اليوروبا من بين المجتمعات التي لا زالت تحافظ إلى حد ما على تقاليدها ومعتقداتها الدينية، فهي تمثل المخزون الثقافي، فتشكل بالتظافر مع مقومات أخرى كالعادات والتقاليد والقيم والمبادئ السياسية والمجتمع وكل أوجه الحضارة صورة متكاملة عن شعب من الشعوب.

فقد اندثرت وتناقصت العديد من الأديان الوضعية أمام انتشار الأديان السماوية، وهذا ما أكدته دراسة أجرتها مؤسسة بيو الأمريكية حول مستقبل أديان العالم تُظهر توقعات النمو للفترة 2010-2050 أن المسيحيين هم أكبر جماعة دينية في العالم، لكن الإسلام ينمو بوتيرة أسرع من أي دين آخر (Stonawski, 2015)، لذلك كان من المهم إجراء دراسات استقصائية ودراسات معاصرة للتغييرات والمعتقدات والأفكار قبل زوالها، وتوثيق الأحداث التاريخية للتاريخ الديني والثقافي. هذا ما أوصت به بعض الدراسات حول أهمية التوثيق الحالي لشعب اليوروبا، وخاصة التقاليد الشفوية غير الموثقة وتحليلها، ودراسة وضعهم الديني، حتى نتمكن من الحصول على صورة أكثر تركيبًا للتقاليد. (Olupona, J. K، 1993).

Kenan أيضًا في دراسته "عبادة جواد في الدين الأفريقي التقليدي" اقترح أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث خاصةً في القاعدة الشعبية الأفريقية لمزيد من الدراسة حول عبادة اللإله في الديانة التقليدية الأفريقية. (Kenan، 1997).

يجب اعتبار الأعمال الرائدة لعلماء اللاهوت والعلماء الأفارقة الأوائل بمثابة رواد وليس خاتمة لجميع الأبحاث والتحقيقات، ليتم ترديدها مرارًا وتكرارًا على أنها الحقيقة. وبالتالي، هناك دعوة ضمنية لإعادة تقييم مجتمع اليوروبا والتقاليد الدينية الأفريقية الأخرى والخلفية الثقافية. (Bewaji، 1998).

بالإضافة إلى ذلك، لا يزال الدين التقليدي عالقًا في عقلية مسلمي اليوروبا، ولا يزال البعض منهم يمارس العديد من طقوسهم القديمة. في حين أن "الوثنية" قد تكون تم إبعادها عن السجلات الرسمية، إلا أنها لا تزال موجودة على نطاق واسع في الممارسة اليومية. تحتفظ نسبة كبيرة من النيجيريين ببعض الولاء لجوانب من ممارساتهم الدينية القديمة، والتي تم تفسير عدد منها في التزامهم بالمسيحية والإسلام. وفقًا لكانون إدموند إيلوغو، بقيت فلسفة الأديان التقليدية في الوعي الشعبي. في الماضي انتقل الأفارقة من قوى إلى آخرى، يمارسون طقوسًا مختلفة لإرضاء الآلهة والأرواح والأسلاف المتنوعة. (إبراهيم، 1991).

هذا ما يجعل بعض مسلمي اليوروبا في ولاية لاغوس ما زالوا يلتزمون ببعض المعتقدات الخرافية التقليدية على الرغم من قبولهم للإسلام. (Balogun، 2011).

أهداف البحث:

1. إلقاء الضوء على المعتقدات الدينية اليوروبية القديمة والتعريف بها.
2. معرفة التغييرات التي طرأت على الدين اليوروبي.

الدراسات السابقة:

فيما يلي نظرة عامة على الأدبيات والمصادر الأساسية التي غالبًا ما يتم الرجوع إليها في هذا البحث.
دراسات ومنشورات عن ديانة اليوروبا التقليدية.

على الرغم من كثرة الأبحاث والدراسات حول اليوروبا بشكل عام وحول المعتقدات الدينية لليوروبا ككل أو جزءً منه وخاصة خلال القرن الماضي ومطالع القرن الحالي إلا أن القليل منها يدرس أديان اليوروبا في عصرها، وكلها تفتقر للإلقاء الضوء على أسباب تمسك شعب اليوروبا بالمعتقدات التقليدية رغم موجة التغيير إلى المسيحية والإسلام، كما أنها لا توجد دراسة مقارنة بين الماضي والحاضر فيما يخص التغييرات في المعتقدات الدينية التقليدية اليوروبية، ومحاولة الإجابة على السؤال إلى أي مدى استطاع اليوروبا المحافظة على تقاليدهم الدينية من التغيير أمام الأديان العالمية.

كمثال للدراسات نذكر منها؛

التحول والتقاليد في مجتمعين أفريقيين: إيجيبو وبوغندا بقلم J. D. Y. Peel، 1977، YORUBA ORISA CULTS، بعض الملاحظات الهامشية المتعلقة بعلم الكونيات ومفاهيم الموت بقلم P. R. Mc KENZIE، 1976، الطبل ودورها في الدين اليوروبا من قبل Ademola Adegbite, 1988، دراسة التقاليد الدينية لليوروبا في منظور تاريخي بقلم Jacob K. Olupọna, 1993 . رؤية من خلال عين المرأة تقاليد اليوروبا الدينية والعلاقات بين الجنسين بقلم Oyeronke Olajubu، معالجوا اليوروبا التقليديون في نيجيريا بقلم Edward L. Margetts, 2004، أولودوماري: الله في إيمان اليوروبا والمشكلة الإيمانية للشر بقلم JOHN A. I. BEWAJI, 1998، مفهوم الله: " الوجود الأسمى " في الديانات القبلية الأفريقية بقلم Venance Tovagonze, 1992، الله، الآلهة والأرواح في الأنطولوجيا الدينية التقليدية الأفريقية Ekeke, E. C., and Chike, A. E 2010.

وغيرها العديد من الدراسات المهمة والتي سوف تستفيد منها هذه الدراسة ومن غيرها وتستعرض بعضاً منها كدراسات سابقة.

خطة البحث:

المبحث الأول: طبيعة العبادات الدينية

- فكرة الألوهية والإله الأعلى
- عبادة الآسلاف

المبحث الثاني: الممارسات والطقوس الدينية

- الطقوس
- الأساطير
- السحر والسحرة
- أماكن العبادة

متن البحث:

ديانة اليوروبا التقليدية

فكرة الألوهية والإله الأعلى

يُعد وجود إدراك لإله بعيد موجود في السماء أو أي مكان آخر من الأفكار الشائعة عند العديد من الأقوام البدائية، ويُعزى إليه صنع خلق كل شئ، وأنه دائم المراقبة لكل ما يجري على الأرض، إلا أنه نادراً ما يتدخل، رغم عدم رضاه أحياناً كثيرة على ما يجري، فمثلاً البدائيون لايعيرون الإله الأعلى عنايةً، أو اهتماماً بشكل يومي، لأنه في اعتقادهم بعيد وغير مخلوق، بعكس الأرواح التي تكون قريبة منهم، وكونها أكثر فاعلية في تحديد المصائر والأقدار على الأرض. (جون ب نوس، 2003).

أما عن الإله الأعلى عند اليوروبا فيتحدث عنه العديد من الكتاب، أحدهم هو بيواجي والذي يطرح صفات الإله الأعلى عندى اليوروبا فيقول أنه لدى شعب اليوروبا العديد من الآلهة التي من خلالها تتقرب كل مجموعة من Olodumare وتتبعه، وبعض هذه الصفات أن Olodumare هو الخالق وسبب وأصل كل الأشياء، وهو من خلق الآلهة والأرض. كل شيء في السماء وعلى الأرض مدين له بأصله، بصفته الخالق يُعرف باسم Eleda "الخالق"، "الصانع". إنه أصل الحياة ومانحها، وبهذه الصفة يُدعى Elemi "مالك الروح"، أو "مالك الحياة"، Olodumare هو أقوى كائن، بالنسبة له لا يوجد شيء عظيم جدًا أو صغير جدًا(I. BEWAJI, 1998)، يتفق توفاغونزي مع بيواجي في سمة المعرفة، معرفة Olodumare لا تضاهى، وبالتالي ليس لها مثيل، Olodumare هو القاضي الصالح (I. BEWAJI, 1998, Tovagonze, 1992).

ثم أضاف توفاغونزي سمات أخرى، علاوة على ذلك، فإن مفهوم الإله كملك، الملك ذو السيادة المطلقة، يؤكد تفرده. أحد أسماء اليوروبا بالنسبة له، له دلالة على أنه يرتدي التاج الفريد. ووفقًا لهم، فهو الإله الوحيد: فهو ليس من رتبة أو مجموعة الآلهة، وفوق كل شيء، إنه ليس إنسانًا بمعنى أن البشر هم كذلك. (Tovagonze, 1992).

فيما يتعلق بقداسة الإله، لا يمكن أن يُتهم الإله بأي إثم لأنه فوق مستوى "الخطأ" و "الفشل" و "الإثم". في نظر اليوروبا، الإله هو "الملك الطاهر" ... الذي بلا عيب. (Tovagonze, 1992. Ekeke, E. C., and Chike, A. E 2010).

اسم يوروبي آخر للإله هو Olorun الذي يعني "صاحب السماء" أو "رب السماء" ويظهر أن الإله هو مؤلف كل الأشياء المرئية وغير المرئية (Ekeke, E. C., and Chike, A. E 2010, زكار، ج1، 1997: 414. عباس، 1978).

(أولورن) البعيد الغير مبال بشؤون العالم، يعتقد الناس أنه يتمتع بحياة تتمثل في الراحة، والكسل، والسعادة، لذلك لا يضيع الناس أوقاتهم في محاولة إرضائه، ولكن تبقى فقط العبادة والتضحية من نصيبه، فلا تُقام له المعابد، وليس لديه كهنة أو صور أو حتى رموز، فالقاعدة العامة أنه لم يُعبد أو يُناشد، وأحياناً يجري الشكر له، وذلك طلباً وطمعاً، كونه المسؤل عن السماء والشمس، والاستفادة منها نهاراً، وحمايته للأرض ليلاً، باعتباره فقط سقف العالم، فهو المسئول عن السماء خوفاً من أن يتركها تسقط فتسحق العالم. تُعطى له عدداً من الصفات، الشخص الشجاع، أو الموقر، المسيطر على المطر، الذي يمتلك النفس، والسواقي (htm04http://www.sacred-texts.com/afr/yor/yor).

على الرغم من وجود الاعتقاد بإله أعلى خالق إلا أنه وجد الاعتقاد بعدد غير قليل من الآلهة الأخرى ومايدعو للإنتباه أنه ربما يكون الإله الثانوي إلهاً رئيساً يفوق في أهميته، وفي صلاحياته الإله الأعلى.

والمثال لهذا الإله هو (أوباتالا)، الإله الرئيس لليوروبا الذي يعني اسمه ملك الزي الأبيض، فالأبيض هو اللون المقدس لـ (أوباتالا)، إذ أن أمتعته الشخصية وصوره في المعابد دائماً بيضاء، وأتباعه أيضاً يرتدون الزي الأبيض، كذلك يعني اسمه ملك الرؤى/ البصيرة. وهذا يعطيه احتمال معرفة الحقيقة، فـ (أوباتالا) له صفات (أوريشا)، الذي يستطيع أن يتقمص الرجل ويتوقع المستقبل ويكشفه بواسطة الرؤى، بأن يلهم مهتفي الوحي والكهنة. وقد خُلق (أوباتالا) من قبل (أولورن) الذي سلم إليه بعد ذلك إدارة شؤون السماء والعالم. أما (أولورن) فقد تقاعد للارتياح. ومن اختصاصات (أوباتالا) أنه يشكل الطفل في رحم أمه، ومن تُرد أن تصبح أماً عليها التوجه بالصلاة إليه. كما أن العاهات أيضاً من صنع يديه ولكنها للمعاقبة. (http://www.sacred-texts.com/afr/yor/yor03htm).

أيضًا أعطى C. Ekeke و A. Ekeopara بعض الأمثلة على العديد من الآلهة التي لها علاقة بالاحتياجات والأنشطة والخبرات البشرية، ويتم التعرف على طوائف هذه الآلهة على هذا النحو، فمثلاً يرتبط أحد الآلهة بالثروة، وخصوبة الإنسان، وإمداد الأطفال (أولوكو)؛ إله آخر للحديد (Ogu)، وآخر للطب (Osu)، وآخر للموت (C. Ekeke and A. Ekeopara, 2010) . (Ogiuwu).

يظهر نوع آخر مختلف من اللآلهة وهو الإله (إيشو) الذي يُعد روح وسيط بين الآلهة بعضهم وبعض وبينهم وبين الإنسان. ورغم أن اليوربيون كانوا يعتقدون أنه روح خبيث وشرير وماكر، إلا أنه كان يُنظر إليه أحيانًا على أنه مهتم بحماية البشر. (زيد، 2009).

ويتحدث إمام و زكار عن إله مهم أخر وهو (إفا) لأنه إله الحكمة والتنبؤات عند (اليوروبا)، وهو أب لثمانية أبناء، مقره في المدينة المقدسة في جزيرة (إيفا)، يلجأ إليه كل من احتاج لمشورة (إمام، م 2، د.ت)، فهو له نظام كهانة رئيس في البلاد (زكار، ج1، 1997).

إيفا عنصر هام وحيوي في النسق الديني لدى قبائل اليوروبا ويعتبرونه مركز العالم وسره. وذلك راجع لما يعتقده اليوروبا من أنه المنقذ الذي آرسلته السماء لمساعدة الإنسان ومساندته في مواجهة ما يقابله من شدائد وصعاب ولهذا أقيمت شعائر وطقوس لعبادته في كل آنحاء الجتمعات المحلية في اليوروبا، كما أنه كان يُنظر إليه أيضًا على آنه إله الشفاء من الأمراض. (زيد، 2009).

من أين أو كيف جآت فكرة الألوهية والتأليه؟ يتحدث عن هذه النقطة المهمة Babalola, & Odudele حيث يعتبر أن الأوساط الطبيعية ذات أهمية عميقة في الممارسات الدينية التقليدية بين شعب اليوروبا. من المعتقد بشكل عام بين اليوروبا أن هناك قوة في هذه السمات الطبيعية التي تشكل بيئتهم. يُنظر أيضًا إلى أن الآلهة تسكن في معظم هذه الميزات، وبالتالي، تم تأليه معظم هذه الميزات وعبادتها بشكل شائع من قبل مختلف البلدات والقرى في أرض اليوروبا. (Babalola, & Odudele, 2017) .

ولكن هل أمتد تأثير الطبيعة حتى على الطقوس؟، ربما تستطيع فكرة أو نظرية أخرى تعالج الطقوس ولكن ليس بتأثير الطبيعة.

عبادة الآسلاف

نوع أخر من العبادة لا يمكن تجاهله ألا وهو عبادة الأسلاف أو الإحترام والتقدير لهم وكيف تمكنوا من كسب هذه المرتبة، يوضح هذه النقطة Babalola, & Odudele فيقول ان اليوروبا يعتقدون أن الفجوة بين الإله الأعلى والآلهة واسعة ويجب أن يكون هناك وسيط بين هذه الآلهة والإنسان. أدى ذلك إلى تأليه الأجداد، والآلهة بهذه الأشياء الطبيعية، مع الاعتقاد بأن روح أسلافهم تسكن في هذه الأشياء. (Babalola, & Odudele, 2017).

كلمة (العظام) عند اليوروبا هي الأناشيد المرتبطة بعبادة الأسلاف الموتى الذين يُعتقد أنهم نزلوا إلى عالم الأحياء للاحتفال مع أحفادهم. يحتوي هذا الشعر على تحيات "للقوة المقدسة في عالم اليوروبا" مثل أولدمير، الكائن الأسمى، الآلهة الرئيسية، وقادة طوائف عبادة الأسلاف ورجال الطب والسحرة. كما يحتوي الشعر أيضًا على معلومات مهمة عن الأدعية والأغاني والأمثال والتعاويذ، والتي من الواضح أن لها مراجع دينية ذات صلة. (Omotoye, R. W، 2011).

الطقوس

أما فيما يخص الطقوس فقدها تناولها بالدراسة اديولو ويرى أن الطقوس هي مصادر مؤكدة للمعتقدات

والممارسات الأفريقية كوسيلة لإطلاع المراقبين السريع على ما يشكل في الواقع المواقف الدينية الفعلية في إفريقيا، وفي أرض اليوروبا على وجه الخصوص. ويضيف أيضاَ، الطقوس هي وسيلة لتسليط الضوء على تجربة النخبة (مجموعة من الناس)، وبالتالي تشكل الطقوس نوعًا من التعبير الديني. إنها وسيلة لتجسيد نظام إيمان المرء. إنها وسيلة للتعبير عن تجربة المرء في العالم الفائق والكائنات الخارقة للطبيعة. باختصار بسيط، هي أعمال عبادة أو شركة وتواصل بين شخص وآخر. (Adelowo, 1990).

وهو يتناول الطقوس من بعض الجوانب، فمثلا قادة الطقوس، فيذكر انه عادة ما يتم تنفيذ الطقوس من قبل الكهنة المعروفين باسم أوورو أو إيورو (هم المصلين لأوريسا).

ويتحدث عن بعض الطقوس الموجهة للإله أولدمير واللآلهة أوريسا، وطقوس تتويج الملك وطقوس المهرجانات السنوية وما يتخلل هذا كله من أضاحي نباتية وحيوانية بل وحتى إنسانية، ويرى أن الآلهة والأجداد هم بالتأكيد أشياء للعبادة والخشوع بين اليوروبا. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنها وسيلة للوصول إلى أولدمير - الإله، النهاية النهائية لكل شيء. لم يرتكب اليوروبا خطأ في اعتبار الإله هو أولدمير. (Adelowo, 1990).

رأي آخر عن العبادة والطقوس في أرض اليوروبا يطرحه Babalola, & Odudele، فلاحظ أن عبادة الإله كانت على فترات منتظمة، أي يومية وأسبوعية وسنوية غالبًا ما تسمى باليوم المقدس اعتمادًا على الإله. تتم هذه العبادة بالصلاة والتضحية والتعزيم واستدعاء روح الإله وكذلك الطقوس. يتم ذلك من قبل الكاهن والمصلين من الإله. ومع ذلك، فإن العبادة كإجلال وتوقير ترضيه، وفي المقابل تطلب بركته وفضله. في العبادة يجدد المصلون نذورهم، ويطلبون من اللاهوت الحماية والخيرات في الحياة؛ في المقابل يعدون بالولاء للألوهية. (Babalola, & Odudele, 2017).

بالنسبة إلى J.DY. Peel في مقالته CONVERSION AND TRADITION IN TWO AFRICAN SOCIETIES: IJEBU AND BUGANDA* I MY AIM IN THIS ESSAY IS TO EXPLORE THE CHARACTER AND CAUSES OF، فهو يدرس التغيير الديني على مدار المائة عام الماضية أو نحو ذلك في مجتمعين: Ijebu، مملكة اليوروبا، و Buganda بشكل عام. السمة الأساسية لهذه العمليات هي التحول من الأديان العرقية إلى الأديان العالمية على خلفية الاندماج في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الأوسع للإستعمار. (Peel, 1977).

إذا كانت الطقوس تقام بهدف استرضاء اللآلهة كما جاء في هذه المقالة، والمقالة ناقشت أنواع الطقوس ومايتصل بها من أضاحي، ولكنها لم تناقش أو تطرح اسئلة متصلة بي هذا الموضوع ومنها، ماذا سوف يحدث إذا لم تقام الطقوس؟ وماهي اهميتها لممارسيها؟ وماهي المنفعة الفعلية وليست العقائدية التي سوف تعود عليهم عند القيام بها؟.

دور الموسيقى والطبول في الديانة والطقوس اليوروبية

يتحدث ادقبيت عن دور الطبل في ديانة اليوروبا وعلاقته بلأوريشا، أن استخدام الطبل لا يقتصر على العائلات المالكة لليوروبا والحكام التقليديين فقط ؛ كل يوروبا أوريسا تقريبًا لديه أيضًا فرقة طبول خاصة به، وغالبًا ما يقال إن مجموعة الطبول هذه هي المجموعة التي استمتع بها أو رقصها أو استمع إليها خلال حياته الأرضية. وبالتالي، لا يمكن المبالغة في التأكيد على أهمية الطبول ووظيفتها الطقسية، خاصة في الطقوس. بصرف النظر عن الترانيم والأغاني المصاحبة التي يستخدمها أتباع الأوريسا أثناء الطقوس والمناسبات الاحتفالية، توفر الطبول أيضًا الوسيلة التي من خلالها يكون المصلون في تواصل متواصل نشيطين مع إلههم وآلهتهم. (Adegbite, 1988).

ثم أعطى وصفاً هيكليا للطبول اليوروبية وخلص إلى نتيجة وهي:

تساعد الطبول المختلفة المستخدمة في ديانة اليوروبا على إظهار أن المصلين من Orisd لا يستخدمون الطبول بشكل عشوائي. يجب استخدام الطبول المناسبة لأوريسد معينة، وإلا فإنها ستثير غضب إله الوصاية. (Adegbite، 1988).

ويضيف قائلا انه يحدث الاتصال بين اليوروبا التقليديين والأوريسا بأشكال مختلفة. يتم ذلك أحيانًا من خلال طقوس خاصة لا يمكن أن يحضرها إلا الأعضاء المبتدئون؛ أو قد يكون من خلال طقوس مفتوحة لعامة الناس. في كل حالة، يجد دور الموسيقى الذي لا غنى عنه تعبيرًا. ويتجلى هذا الدور بوضوح في

الإجراءات الليتورجية التي تقام من بين أمور أخرى على الترانيم والتلاوة والغناء والطبول والرقص. الجانب الأكثر أهمية في هذه الإجراءات هو العزف على الآلات الموسيقية، ولا سيما الطبول. (Adegbite، 1988).

الأساطير

أما فيما يخص الأساطير فتحدث عنها ودرسها توفانقوز فيورد مثلا أسطورة ترمز ألى أهمية الإله الخالق وعلاقته بالآلهة الأخرين:

"هناك قصة رائعة تبرز بوضوح العلاقة بين الإله والآلهة. ويمضي فيقول إن حوالي ألف وسبعمائة إله تآمروا على Olodumare، وقرروا أنه يجب أن يتنازل عن السلطة والحكم. لقد تقدموا أمامه وطالبوه بأن يسلمهم السلطة، على الأقل، لفترة تجريبية مدتها ستة عشر عامًا. يقترح عليهم Olodumareأنه قد يكون من الحكمة بالنسبة لهم إجراء التجربة لمدة ستة عشر يومًا في المقام الأول. لقد قبلوا هذا الاقتراح بفرح، ثم أخبرهم Olodumare أن العالم ملك لهم ليعملوا بالطريقة التي اختاروها لتلك الفترة التي استمرت ستة عشر يومًا. شرعوا على الفور في مهمتهم. ولكن بعد ثمانية أيام فقط اكتشفوا أن الأمور قد سارت بشكل خاطئ، وأن آلية الكون كانت، في الواقع، في حالة توقف تام.

لقد ابتكروا كل الوسائل التي يمكن أن يفكروا بها للحفاظ على سير الأمور، لكنهم لم يفعلوا أي شيء؛ لقد تبنوا كل التكتيكات التي عرفوها لكنهم فشلوا. حجبت السماء أمطارها، وتوقفت الأنهار عن التدفق، وامتلأت الأنهار بأوراق الشجر المتساقطة؛ نبتت البطاطا ولم تتطور، وامتلأت آذان الذرة لكنها لم تنضج؛ كان عصير الشجر يلعق ليروي العطش. تمت استشارة أوروميلا ولكن وحيه كان غبيًا وحتى أجهزة العرافة رفضت العمل؛ توقف العيد اليومي في بيوت الآلهة. كان العالم كله بالتأكيد، سوف يموت! وهكذا وجدت الآلهة أنفسهم في نهاية ذكاءهم. لم يكن هناك شيء آخر يمكنهم فعله سوى العودة إلى Olodumare. وهكذا، في خجل، ومع إنحناء الرؤوس، رجعوا إليه واعترفوا بحماقتهم، معترفين بسيادته المطلقة وتفوقه على الجميع؛ واستجداء الرحمة. ضحك الأب الخيّر على حماقتهم وغفر لهم. ثم أعاد تشغيل آلية الكون واستأنف على الفور سيره الطبيعي. ذهب الآلهة يغنون ". (Tovagonze, 1992).

يعتقد اليوروبا تقليديًا أن خلق الأرض بدأ في Ilelfe، ويقولون أنه عندما كانت الأرض جاهزة ومجهزة بالكامل، ستة عشر بشريًا، أول مجموعة يتم خلقها، تم إرسالها تحت وصاية Orisanla، ورئاسة Oreluere، أول رأس بشري يسكن الأرض. Olodumare منح Orisanlaالقدرة على خلق رجال مثاليين، أو لطيفين، أو مشوهين، ومهما كانت خصائص الأشكال والمظهر، أو أي لون يختاره. ومن هنا جاءت أنواع البشر المختلفة. تستمر الأساطير في القول إن "إيل-ليف" .... هو الأصل الأرضي وأساس الجميع؛ إنها أيضًا النهاية الأرضية التي يجب على الجميع العودة إليها حتى يتم إخبارك بما يجب فعله بعد ذلك .... " Ile-lfe هو الأصل والمركز . (Tovagonze, 1992) .

من خلال السمات الطبيعية في أرض اليوروبا والأرواح فيها كان شعب اليوروبا يعتقد أنه هو الوسيط بين الإله الأعلى والإنسان. ومن ثم، فقد أشار شعب اليوروبا إلى هذه السمات التي كانت بمثابة رمز للعبادة باسم أوريسا (الآلهة) (Babalola, & Odudele, 2017).

السحر والسحرة

تقول الأسطورة اليوروبية أن الإلهة يموجا حملت من ولدها أورونغان وأسفر زنى المحارم هذا عن ميلاد عدة آلهة وأرواح. ويموجا هي ربة ساحرات اليوروبا اللواتي يتخذنها مثالاً يحتذى بسبب سبرتها الاستثنائية والمضطربة في الحياة.

وهناك موضوع آخر يتصل بالسحر وهو العقم، والذي يمثله الإلهة أولوكون زوجة (أودودوا).

يظهر موضع ثالث يتعلق بالسحرعند اليوروبا يتمثل في فينوس اليوروباء الإلهة (أوسون) بطلة حالات الطلاق والفضائح المخزية، فهي من اخترع فنون السحرء وتعدها الساحرات واحدة منهن. (إلياد، 2018).

إله النبوءات هو أورونميلا الذي لا تخلو بيوت اليوروبا التقليدية من الأدوات الخاصة به وتشتمل هذه العرافة على ستة عشر شكلاً أساسياً يتحدد الكشف المطلوب عنها على الهيئة التي ستظهر في النهاية، ولا يُقدم العراف على تفسير الحكم بل يقتصر عمله على تلاوة أشعار مستقاة من ديوان محفوظات موروثة،

ويكبر العراف في أعين زبائنه كلما ازداد حفظه لتلك الأشعار. (إلياد، 2018).

يمتلك رب الحدادين وهو الإله المحارب (أوغون) قدرات سحرية مزدوجة، وهي الازدواجية نفسها التي نلفيها في موقف اليوروبا من التوائم. فشذوذ الولادة التوءمية يضع الشعوب الإفريقية أمام معضلة: فإمّا أن تمنع الولادة بوصفها علامة على فقدان العام لتوازنه (وفي هذه الحالة يجب القضاء على أحد المولودين أو عليها معاً)، وإمّا أن تضفي عليها هيبة خاصة. ويقول اليوروبا إنهم في الماضي السحيق كانوا يفضلون الحل الأول، غير أن نبوءة فرضت عليهم الحل الثاني. ويحظى التوائم عندهم بعناية خاصّة جداً. (إلياد، 2018).

أماكن العبادة

العرض السابق يمكن ان يطلق عليه الشكل النظري للعبادة، أما في شكلها المادي وهو إقامة المعابد والأضرحة فيتحدث عنها Babalola, & Odudele فمع تطور المجتمع، أصبحت فكرة المكان الذي يتجمع فيه الناس للعبادة، مقدسة، مما أدى إلى بناء الأضرحة والمعابد. في أرض اليوروبا، يتم تخصيص الأضرحة للآلهة والأرواح في المنزل، وملتقى الطرق والأسواق وفي الميدان. توجد أضرحة في البساتين وبعض الأراضي في الأدغال أو الغابة. يحتوي كل ضريح على بعض الأشياء المحددة التي تمثل رموزًا لألوهية معينة تم تكريس الضريح لها. ومن بين هذه الأشياء صور منحوتة أو نباتات وأشجار مقدسة، فهذه الرموز لا تعتبر آلهة ولكنها تجعل وجود الآلهة محسوسًا في أماكن العبادة. (Babalola, & Odudele, 2017).

ديانة اليوروبا التقليدية في الوقت الحاضر

يبدو أن مجتمع اليوروبا يُعد أحد المجتمعات التي لا تزال تحافظ إلى حد ما على تقاليدها ومعتقداتها الدينية. يعتبر أنه يمثل أو يمثل بالفعل المستودع الثقافي. إنه مزيج من عناصر أخرى مثل العادات والتقاليد والقيم والمبادئ السياسية والمجتمع وجميع جوانب الحضارة.

شهدت منطقة غرب أفريقيا مؤخراً تغيرات عميقة مست القيم الاجتماعية والثقافية، وتغيرت تبعاً لها طبيعة التهديدات الأمنية المرتبطة بعدم الاستقرار السياسي. فانتشر نشاط التنظيمات الإرهابية كـ"القاعدة" و"داعش" جنباً إلى جنب مع الجريمة المنظمة مثل الاتجار بالبشر والتهريب، مما أثر على الاستقرار الداخلي للمجتمعات، فظهر تأثير ذلك على المنطقة بالعودة إلى المعتقدات الأرواحية القديمة التي تميزها الطقوس المتبوعة بالتعاويذ الشفهية الغريبة ولبس التمائم و"الأحجبة" والإيمان بعدد من الآلهة والاعتقاد في الأرواح بأنها محاطة بقوة عليا ولها قدرات فوق الطبيعة تساعد على شفاء الأمراض بالتقرب إليها. (منى عبد الفتاح، 2022).

التغييرات التي حدثت في المعتقدات الدينية لغرب أفريقيا عموماً ولدى مجتمع اليوروبا خاصة مست بشكل، تمثلت أيضاً في نشؤ محتوى ديني جديد يصب في القالب القديم ذاته، فقد تم ظهور آلهة جديدة تخدم التغيرات الطارئة في المنطقة، فمثلاً أصبح "غون" Ògún إلهًا في القرن العشرين، فهو في السابق لم يكن إله ولكن كان هو صانع الطريق الذي مهد الطريق من الآلهة إلى البشرية، أو رجل الأعمال الذي أنتج النار في أسطورة الخلق اليوروبية، وكذلك دوره في انتشال البشرية من البربرية، أو داعية الحرب الذي يحمي الضعفاء ولكن يمكنه أيضًا أن يلتهمهم في مجرد الترويج للدماء، وإشرافه على مسابك الحديد التي أدت إلى ظهور الحضارة الحديثة كان Ògún خلال حياته محاربًا ماهرًا ومشهورًا، وحرفيًا، وصيادًا، وحدادًا، ورجل طب، وكان شغوفًا بالحرب وكان دائمًا مستعدًا للحرب. لقد كان أكثر من ماهر ومشهور في الحرب. لقد كان أمير حرب متحمسًا وكان يستمتع بالحرب. (Kujore, Oludotun، 2023).

التفسير الأقرب لهذا الوضع هو أن هذه المجتمعات قد قاومت دخول المسيحية أو الإسلام إلى المنطقة، وعندما انضمت لإحدى الديانتين ظلت محتفظة بتقاليدها الأرواحية القديمة.. وهذا ما أكدته أماني الطويل التي ترى أن اليوروبا مازالوا يقدسون الآلهة المتألفة من الإله الأعلى للجميع أولورين، و400 من الآلهة الصغيرة والأرواح التي تسمَّى أوريشا ذوي المهام الخاصة لكل نفس بشرية. (أماني الطويل، 2020).

الخاتمة

تم توثيق أول دخول للإســـلام إلى نيجيريا في القرن التاســـع، وقد اعتمد باعتباره دين الغالبية خلال امبراطورية برنو في عهد الملك إدريس ألوما (1571- 1603). 1996 .(Kenny, Joseph).

على الرغم من اعتناق معظم شعب اليوروبا في نيجيريا المسيحية أو الإسلام إلا أنه لازالت هناك نسبة كبيرة من الســـكان يؤيدون العديد من مبادئ العقائد الدينية التقليدية لإســـلافهم، بل وحتى معتنقي الديانات السماوية (المسيحية أو الإسلام) لازال لديهم ميول لترك ديانتهم الجديدة والرجوع للخلفية الدينية التقليدية السابقة التي كانوا عليها هم أو أسلافهم، بمجرد أن تحدث مهم ظروف خاصة فإن ردة الفعل المتوقعة هي التوجه للمعتقدات التقليدية واعتبارها حل لمشاكلهم، وعلاج لكافة جروحهم.

تحتاج هذه المنطقة لمســـح ميداني وعمل اســـتبيان يغطي كافة الجوانب المتعلقة بالدين ويشـــمل جميع السكان بغض النظر عن ديانتهم.. فهم يمثلون محتوى ثقافي متكامل لازال بين أيدينا ونحاول الاستفادة منه قدر المستطاع.

المراجع العربية :

- إبراهيم جمال (1991). "الدين والاضطراب السياسي في نيجيريا". *مجلة الدراسات الأفريقية الحديثة*، 29 (1)، 115-136.
- إلياد، مرسيا، يوان ب. كوليانو (2018)، معجم الاديان، ترجمة وتقديم وتعليق خليد كدري، الناشر مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط المغرب، ط1.
- إمام، إمام عبد الفتاح، معجم ديانات وأساطير العالم، م 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.
- أماني الطويل (2020). "شعوب اليوربا في غرب إفريقيا بين التنوع الثقافي والسياسي". https://pharostudies.com/?p=4334
- جون ب نوس، (2003) أهم الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية، ترجمة غادة جاويش، موسوعة تاريخ الأديات الكتاب الأول، دار علاء الدين، دمشق.
- زكار، سهيل (1997) المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، ج1، دار الكتاب العربي، دمشق.
- زيد، محمود أبو، (2009)، الدين ونسق الأساطير الإفريقية والمصرية القديمة، الناشر غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.
- عباس، محمد جلال، (1978)، المد الاسلامى فى افريقيا، الناشر المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.
- منى عبد الفتاح (2022)، "مرايا الأسلاف... هل أيقظ الإرهاب وثنية غرب أفريقيا؟"

المراجع الأجنبية :

- Adegbite, A. (1988). "The drum and its role in Yoruba religion". *Journal of Religion in Africa*, *18*(1), 15-26.
- Adelowo, E. D. (1990). "Rituals, symbolism and symbols in Yorùbá traditional religious thought". *En African Journal of Theology*, *9*, 162-173.
- Akanbi, T. And Aladesanmi, Bola (2006) "*Introduction to the Yoruba people and culture in Wale Olajide"* (ed) Broadening the scope of Humanities, Ado-Ekiti: MacAnthony Publishers, pp. 88- 89.
- Awolalu, J. O. (1975) "What is African Traditional Religion?" *STUDIES IN COMPARATIVE RELIGION*
- Babalola, O. E., & Odudele, R. O. (2017). "Affinity Between Natural Milieu And Yoruba Religion Conviction". *EBSU Journal of Social Sciences and Humanities*, *7*(1).

- Balogun, M. A. (2011). "Syncretic beliefs and practices amongst Muslims in lagos state Nigeria; with special reference to the Yoruba speaking people of Epe" (Doctoral dissertation, University of Birmingham).
- Basil, Davidson, Buah, F .K, and Ade Ajayi, J. F (1975) "The growth of African civilization" A History of West Africa 1000- 1800, London: Longman, pp. 122- 123.
- Bewaji, J. A. (1998). "*Olodumare: God in Yoruba belief and the theistic problem of evil".* African studies quarterly, 2(1), 1-17.
- Ekeke, E. C., & Chike, A. E. (2010). "God, divinities and spirits in African traditional religious ontology". *American Journal of Social and Management Sciences*, *1*(2), 209-218.
- Falola, T. (1982). "Religion, rituals and the yoruba pre-colonial domestic economy: Myth and reality". *Ife Journal of Religions*, *11*, 33.
- https://www.independentarabia.com/node/404131/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B1/%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%81-%D9%87%D9%84-%D8%A3%D9%8A%D9%82%D8%B8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D9%88%D8%AB%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%9F
- Kenan, John Sarauta, (1997). "The worship of Goad in African Traditional Religion", http://hdl.handle.net/11427/17492
- Kenny, Joseph. (1996). "Sharia and Christianity in Nigeria: Islam and a Secular State". *Journal of Religion in Africa*, *26*(4), 338-364.
- Kujore, Oludotun. (2023) ."ÒGÚN: THE YORÙBÁ IRON DEITY". Lecturer at Olabisi Onabanjo University, Nigeria.
- McKenzie, P. R. (1976). "Yoruba òrìsà cults: some marginal notes concerning their cosmology and concepts of deity". *Journal of Religion in Africa*, *8*(3), 189-207.
- Olajubu, O. (2004). "Seeing through a woman's eye: Yorùbá religious tradition and gender relations". *Journal of Feminist Studies in Religion*, *20*(1), 41-60.
- Olupona, J. K. (1993). "The study of Yoruba religious tradition in historical perspective". *Numen, 40*(3), 240-273. https://doi.org/10.2307/3270151
- Omotoye, R. W. (2011). "The study of African traditional religion and its challenges in contemporary times". *Ilorin Journal of Religious Studies*, *1*(2), 21-40.
- Oti, A., & Ayeni, O. (2013). "Yoruba Culture of Nigeria: Creating Space for an Endangered Specie". *Cross-Cultural Communication*, 9(4), 23.
- Peel, J. D. Y. (1977). "Conversion and tradition in two African societies: Ijebu and Buganda". *Past & Present*, (77), 108-141.

- Stonawski, M., Skirbekk, V., & Potančoková, M. (2015). "The future of world religions": *population growth projections*, 2010-2015.
- Tovagonze, V. (1992). "GOD-CONCEPT: "SUPREME BEING" IN AFRICAN TRIBAL RELIGIONS". *Journal of Dharma*, *17*(2), 122-140.